

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

د. صفية بنت عبد الله القرني

الأستاذ المشارك بقسم القراءات بجامعة أم القرى

الملخص

يلقي البحث الضوء على مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه، ويهدف البحث إلى: بيان معنى جمع القراءات وتركيب القراءات، وأنواعه، وحكمه عند العلماء، وبيان معنى تركيب الحروف.

وجاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث: المبحث الأول: مفهوم جمع القراءات، وأما المبحث الثاني: مفهوم تركيب القراءات وأنواعه وحكمه، وأما المبحث الثالث: تركيب الحروف.

وكان من أهم نتائجه: ١- أن مصطلح التركيب في القراءة يطلقه بعض العلماء على جمع القراءات، وبعضهم الآخر على الخلط في القراءات.

٢- حكم التركيب يدور عند علماء القراءات بين الحرمة أو الكراهة أو العيب، سواء كان في الصلاة أو في غيرها.

الكلمات المفتاحية: تركيب القراءات، تركيب الحروف، التركيب، القراءات، جمع القراءات

مقدمة:

الحمد لله على آلائه، والشكر له على نعمائه، نشني عليه سبحانه ونحمده على تيسيره وامتنانه، ونصلي ونسلم على نبينا محمد، وعلى صحبه وآله.

وبعد:

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

فإنَّ القرآنَ كتابَ الله الميّن، أحيا الله به القلوب، وزكّى به النفوس، وهَدَى به من الضلالة، وبصّر به من الغواية، فهو الصراط المستقيم، والحق القويم، شُرّف به حملته وقراؤه، وبرّع من نهل من عذبه ومعينه، وفاز من اهتمَّ بجمع قراءاته، وتوجيه رواياته، ورسم كَلِمِهِ.

وقد أنزله الله على سبعة أحرف؛ تيسيراً للأمة، ورحمة بها، ودلالةً على عظمتها وشرفها، فتلقته بأحرفه المختلفة، وقراءاته المتعددة.

ومن مظاهر هذا الحفظ وذاك التيسير: القراءات القرآنية، فإنها تيسير من الله لهذه الأمة، كما هو ظاهر حديث إنزال القرآن على سبعة أحرف، وفي حفظ تلك الأحرف والأوجه التي أنزل عليها القرآن دلالة ظاهرة على حفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل، ومظهر من مظاهر التيسير على هذه الأمة.

وقد كان الاشتغال بقراءات القرآن الكريم من أفضل ما اعتنى به الباحثون؛ لتعلقها بألفاظ القرآن الكريم الذي تعبدنا الله بتلاوته، وأجزل لنا الأجر عليها، فجعل الحرف منه بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وأثاب المتتبع فيه لمشقته عليه بأجرين، وجعل الماهر فيه مع السفارة الكرام البررة، ففي

د. صفية بنت عبد الله القرني

الصحيح من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - قال: «المَاهِرُ فِي الْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»^(١).

وقد بذل المسلمون على مرّ العصور جهداً فائقاً لخدمة القرآن الكريم بمختلف قراءاته ورواياته، وألّفوا في ذلك المؤلفات القيمة، ومن الموضوعات المهمة المتصلة بالقراءات، موضوع: القراءة بالجمع، وما يتعلق به من تركيب القراءات، فجاء هذا البحث: (مصطلح التركيب في القراءة مدلوله وأنواعه وحكمه) لبيان هذا المصطلح وأنواعه في القراءات وحكمه عند علماء هذا الفن.

مشكلة البحث:

جاء هذا البحث لبيان مصطلح التركيب وإزالة اللبس والغموض حول مفهومي جمع القراءات وتركيب القراءات، وقد وضح البحث أنواع التركيب في القراءات، وحكمه عند بعض القراء والفقهاء.

الدراسات السابقة:

بحث بعنوان: (القراءات القرآنية بين الجمع والتركيب) للباحث: يزيد الشايب، منشور في مجلة الميزان بالجامعة الإسلامية العالمية، المجلد التاسع، العدد الثاني، ٢٠٢٢ م.

(١) أخرجه البخاري في (باب تفسير سورة عبس): ٤/ ١٨٨٢، برقم (٤٦٥٣)، ومسلم في صحيحه: ١/ ٥٥٠، برقم (٧٩٨)، وأبو داود في (باب ثواب قراءة القرآن): ٢/ ٧٠، برقم (١٤٥٤)، والترمذي في (باب ما جاء في فضل قارئ القرآن): ٥/ ١٧١، برقم (٢٩٠٤).

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

بحث بعنوان: (جمع القراءات وتركيبها وموقف الفقهاء والقراء منها)، د. نواف المالكي، العدد ٤٦، المجلد ٣، ٢٠٢٠م.

وقد تناول هذا البحثان جمع القراءات والتركيب معاً، وأما هذا البحث فقد جاء فيه التفصيل لبيان مصطلح التركيب والمعاني المرادفة له، وكذلك بيان حكمه بالتفصيل، وأنواعه. هيكل البحث: يحتوي البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم جمع القراءات وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف جمع القراءات ونشأته.

المطلب الثاني: فائدة القراءة بجمع الأوجه.

المبحث الثاني: مفهوم التركيب في القراءة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى تركيب القراءات.

المطلب الثاني: أنواع التركيب في القراءات.

المطلب الثالث: حكم التركيب بين الأوجه والروايات والطرق.

المبحث الثالث: تركيب الحروف.

ثم الخاتمة ويليهما فهرس المصادر.

المبحث الأول

مفهوم جمع القراءات

د. صفية بنت عبد الله القرني

قبل البدء في معرفة مصطلح تركيب القراءة لابد أن نستعرض مفهوم القراءة بالجمع ونشأته وشروطه وكيفيةه.

المطلب الأول: تعريف جمع القراءات ونشأته.

جمع القراءات: باب عظيم الفائدة، كثير النفع، ومفهومه: أن يقرأ القارئ الآية ويعيد موضع الاختلاف فيقرأ جميع ما فيه من أوجه، بأن يعيد الآية بكل وجه، أو يعيد موضع الاختلاف فقط، فإذا انتهى منه انتقل إلى مقطع آخر^(١).

ويكون بشروطه: من رعاية الوقف والابتداء وحسن الأداء وعدم التركيب^(٢). ويُطلق عليه في اصطلاح المغاربة (الإرداف)؛ فالقارئ يُتبع الوجه تلو الوجه^(٣).

وحيثما نتجول بين كتب القراءات ونبحث عن نشأة جمع القراءات فإن أول ما سنجد هو قول الإمام ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) — رحمة الله — حين نص على أنه تتبع تراجم القراء بحثاً عن

(١) انظر: سنن القراء ومناهج المجودين، لعبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، ص ٣٦، مكتبة الدار-المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٢) نقله صاحب جمع القراءات القرآنية، عن الإمام عبد الفتاح هنيدي بن أبي المجد، صاحب كتاب (الأدلة العقلية في حكم جمع القراءات العقلية)، انظر: ص ١٢.

(٣) انظر: النشر لابن الجزري: ١٥٤/٢، وشرح طيبة النشر للنويري: ٣/ ٢٥٠-٢٥١، والمهذب في القراءات العشر- وتوجيهها، للدكتور محمد سالم محيسن: ١/ ٢٣، المكتبة الأزهرية للتراث-٢٠٠٢م، والقراءات القرآنية، لعبد الحليم بن محمد الهادي قابة، ص ٢٥٨-٢٥٩، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى-١٩٩٩م.

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

الزمن الذي ظهر فيه جمع القراءات، ولم يهتدِ إلى معرفة ذلك، رغم اطلاعه على تراجم القراء من الصدر الأول وحتى عصره في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين.

ثم ظهر له تاريخاً تقريبياً لظهور فكرة الجمع، فقال في كتابه (منجد المقرئين): " لكن ظهر لي في أن الإقراء بالجمع ظهر من حدود الأربعمئة، وهلم جرّاً"^(١)، وقال في النشر: " وهذا الذي كان عليه الصدر الأول ومن بعدهم إلى أثناء المائة الخامسة، في عصر الإمام الداني (ت: ٤٤٤هـ)، وابن شيطا (ت: ٤٤٥هـ)، والأهوازي (ت: ٤٤٦هـ)، والهذلي (ت: ٤٦٥هـ) ومن بعدهم"^(٢).

وأما ما نص عليه ابن الجزري في المنجد من أن ابن مهران (ت: ٣٨١هـ) هو من الأئمة الذين أقرأوا بالجمع، قد يرجح أن أول ظهور للجمع كان في القرن الرابع الهجري: وبالرغم من هذا فإن ذلك لا يبيّن تاريخاً دقيقاً عن نشأة جمع القراءات^(٣).

وقد ذكر عمر المراطي في كتابه جمع القراءات القرآنية أن سنة وفاة ابن مهران الذي ثبت أنه أقرأ بالجمع، هي أقصى حد تاريخي لظهور الجمع تلاوةً في المجلس الواحد^(٤).

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، للإمام ابن الجزري، ص ٢٠، مكتبة القدسي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢) النشر، ص ٥٠٦.

(٣) انظر: منجد المقرئين، ص ٢٠.

(٤) انظر: جمع القراءات القرآنية، ص ١٥، عمر مالم أبه المراطي، مكتبة أولاد الشيخ - القاهرة، ط ١.

د. صفية بنت عبد الله القرني

وقد جاء عن الأستاذ سعيد أعراب أن المغاربة والأندلسيين هم أول من ابتكروا جمع القراءات^(١)، ولم يعيّن علماً من أعلامهم، ولعله يقصد أنهم هم أول من ألّف فيه، ويَعُضد ذلك قول الإمام ابن الجزري: "وقد بلغني أنّ شخصاً من المغاربة ألّف كتاباً في كيفية الجمع"^(٢).

وللدكتور عبد العزيز القارئ، رأي آخر حين قال: حديث المدارس أو عرض القرآن على جبريل يمكن أن يستنبط منه أصل الجمع، فإن قوله في الحديث: عَنْ فَاطِمَةَ -رضي الله عنها- قالت: أَسْرَأَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلِّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ -أَجْلِي»^(٣). فمعنى ذلك أنه كان يجتم ختمة واحدة، ويلزم من ذلك: أن يقرأ سائر ما أنزل في هذه الختمة من أحرف القرآن المختلفة، سواء كرر نفس الموضع، أو أعاد من أول الآية، لأن هذه الأحرف قرآن، ولا وجه لإخراجها من العرض.

ثم توصل إلى نتيجة مفادها: أن أصل جمع القراءات ثابت من فعل النبي ﷺ.

ثم أعقب ذلك بقوله: "إنّ الأخبار الثابتة الصحيحة التي فيها وصف لوقائع كان بعض الصحابة فيها قرأوا بهذه الحروف القرآنية المختلفة، كقصة هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب -رضي

^(١) انظر: القراء والقراءات بالمغرب، لسعيد أعراب، ص ٦٥، دار المغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

^(٢) منجد المقرئين، ص ٢٠.

^(٣) أخرجه البخاري في: (كتاب فضائل القرآن)، (باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ): ٤/١٩١١، برقم: (٤٧١١).

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

الله عنهما- في الحديث المشهور"^(١)، لم يكن في هذه الأخبار تصريح بأنهم كانوا يجمعون الأحرف المختلفة في القراءة، وليس هناك أيضًا ما يمنع ذلك"^(٢).

المبحث الثاني

فائدة القراءة بجمع الأوجه

تقدّم القول بأن الأفراد هو المنهج الأصل في الدراسة الدقيقة للقراءات والروايات القرآنية، وأن جمع القراءات ضرورة طارئة كما عدّها بعض العلماء، حيث نبهوا على ضرورة أن يكون الأصل في التلاوة هو أفراد كل قارئ على حدة، وأن الجمع إنما هو للضرورة لا ينبغي أن تتخذ أصلًا لتلاوة القرآن الكريم، وبرأيهم أن الطلبة كانوا يعزفون عن علم القراءات لما كانوا يستعظمونه من المدة التي يتطلبها تعلم القراءات على الطريقة القديمة: حيث كانوا يقضون فترة غير قصيرة في تحصيل ذلك، فخشى- الأئمة على علم القراءات من الاندراس، فبدأوا يسمحون للطلبة بالجمع؛ وذلك لفتور الهمم، وصعوبة أفراد كل رواية بختمة"^(٣).

^(١) المذي أخرجه البخاري في (باب نزول القرآن على سبعة أحرف): ٤/ ١٩٠٩، برقم (٤٧٠٦)، وفي (باب من لم يربأسأ أن يقول سورة كذا وكذا): ٤/ ١٩٢٣، برقم (٤٧٥٤)، وفي (باب ما جاء في التأولين): ٦/ ٢٥٤١، برقم (٦٥٣٧)، وأخرجه مسلم في (باب أن القرآن على سبعة أحرف، وبيان معناه): ١/ ٥٦٠، برقم (٨١٨)، وأخرجه أبو داود في سننه في (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف): ٢/ ٧٥، برقم (١٤٧٥)، وأخرجه الترمذي في (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف): ٥/ ١٩٣، برقم (٢٩٤٣)، وأحمد في مسنده: ١/ ٢٤، برقم (١٥٨).

^(٢) انظر: سنن القراء ومناهج المجودين، لعبد العزيز القارئ، ص ٣٦ وما بعدها.

^(٣) انظر: جمع القراءات القرآنية، ص ١٦، وشرح طيبة النشر، للنويري: ٣/ ٢٤٦.

د. صفية بنت عبد الله القرني

ومن هنا تتضح فائدة القراءة بجمع الأوجه، ومنها:

أولاً: أن في الروايات تفسير لبعضها البعض، فحين يقرأ القارئ بالقراءات المختلفة في مجلس واحد فإنه بعض هذه الروايات والقراءات يُفسر بعضاً وبيئها.

ثانياً: أن المعنى بالتكرار يتقرر في ذهن السامع، كما في التوكيد اللفظي.

ثالثاً: أن الآية كلما كُررت ظهر للسامع المتدبر منها معنى يزيد على المعنى المفهوم له أولاً، وقد يكون بعض الحاضرين غافلاً عن القراءة بالرواية الأولى، فلا يفوته حظّه من القرآن عند القراءة بغيرها من الروايات.

رابعاً: أن يطلع السامعون على لغات العرب المختلفة، وطرق نطقها، فيدركوا فضل اللسان العربي، وسموه إلى غاية الكمال، فيُعرف عظم شأن اللغة العربية: لغة القرآن الكريم، وغناها وشرفها على سائر اللغات^(١).

خامساً: أن الجمع يستوفي مذاهب القراء، وفيه اختصار للوقت، وتيسير على الطالب.

سادساً: إخراج مقرئين مهرة يقرأون القراءات السبع أو العشر - بالجمع، فيجمعوا بين مهارتي: الأفراد والجمع^(٢).

(١) انظر: القراءات القرآنية، لعبد الحلیم قابة، ص ٢٤٦، نقله عن كتاب: هداية القراء والمقرئين، لخليل الجنائني، ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٢) انظر: القراءات القرآنية (بتصرف سير)، لعبد الحلیم قابة، ص ٢٢٩.

المبحث الثاني

مفهوم التركيب في القراءة

المطلب الأول: معنى تركيب القراءات.

التركيب في اللغة: وضع شيء على شيء، يقال: ركب الشيء: ضمّ أجزاءه المتفرقة، فتركب وتراكب. ويقال: تراكب السحاب وتراكم^(١).

ويعبر عنه البعض بـ"التلفيق"، وبـ"الخلط"،

والخلط في اللغة: يطلق على المزج والاشتباك، يقال: خلط الشيء بالشيء يخلطه خلطاً، إذا مزجه به، وخلّطه تخلّطاً فاختلط: مزجه، واختلط القوم في الحرب: اشتبكوا^(٢).

وأما التلفيق لغة: مصدر لَفَّقَ يَلْفُقُ، وتدور مادته على معنى الضم، فلَفَّقَ الثوب ضم أحد شقيه إلى الآخر بخياطة، ونحوها، وتلافق أمرهم: تلاءم، ومنه أخذ التلفيق في المسائل^(٣). وكلها بمعنى واحد.

^(١) أبواب الكاف والراء من تهذيب اللغة، ١٠/١٢٤، وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/٩٣٢، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

^(٢) باب (خ ل ط) المحكم والمحيط الأعظم (٥/١١٤)، وجمهرة اللغة: ١/١٦٠.

^(٣) باب (ل ف ق) العين، ٥/١٦٥، ومقاييس اللغة، ٥/٢٥٧.

د. صفية بنت عبد الله القرني

وفي اصطلاح العلماء: هو أن يأخذ القارئ حكمًا أو أحكامًا من قراءة أو رواية، وحكمًا آخر من قراءة أو رواية ثانية، ويقرأ بها كلها في آن واحد، بكيفية لم ترد عن أحد الأئمة أو الرواة عنهم.^(١) وبمعنى آخر هو: التنقل بين القراءات أثناء التلاوة، من غير إعادة لأوجه الخلاف، ودون الالتزام برواية معينة.^(٢)

وهو بلا شك يختلف عن جمع القراءات، الذي يقصد القارئ به الإتيان بأوجه الخلاف في الموضع الواحد، وعطف بعضها على بعض. فيتين من ذلك أن الفرق بين تركيب القراءات وجمعها: أن التركيب هو انتقال عشوائي دون ضابط من رواية إلى أخرى دون الإعادة من موضع الابتداء، وأما الجمع فهو إعادة القراءة من موضع الابتداء برواية أخرى مع الالتزام بشروط الجمع وبإحدى كيفياته.

وهذا الفرق يُفهم من كلام ابن الجزري عند كلامه على شروط الجمع، وما ينبغي أن يتصف به الجامع للقراءات، حيث يقول: " فإذا أحكم القراءات أفرادًا وصار له بالتلفظ بالأوجه ملكة لا يحتاج معها على تكلف وأراد أن يحكمها جمعًا فليرض نفسه ولسانه فيما يريد أن يجمعه ولينظر ما في ذلك من الخلاف أصولًا وفرشًا فما أمكن فيه التداخل اكتفى منه بوجه وما لم يمكن فيه نظر فإن أمكن عطفه على ما قبله بكلمة، أو بكلمتين، أو بأكثر من غير تخطيط، ولا تركيب اعتمده وإن لم

^(١) جمع القراءات القرآنية، ص ٣١.

^(٢) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ١/ ١٨، غيث النفع في القراءات السبع للصفاحسي، ص: ٤٤

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

يحسن عطفه رجع إلى موضع ابتداء حتى يستوعب الأوجه كلها من غير إهمال، ولا تركيب، ولا إعادة^(١).

المطلب الثاني: أنواع التركيب في القراءات

التركيب إما أن يكون بين القراءات، وإما أن يكون التركيب بين الروايات، وإما أن يكون بين الطرق. فمثال التركيب بين القراءات: قراءة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]: بالسكت على المد مع القصر؛ لأن السكت على المد قراءة حمزة، والقصر في المد ليس من قراءته من طريق الشاطبية.

وأيضاً كالقراءة في ﴿فَلَقَّآءَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَثَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] بالرفع في ﴿آدَمُ﴾ من قراءة ابن كثير والرفع في ﴿كَلِمَتٍ﴾ من قراءة غيره.

ومثال التركيب بين الروايات: قراءة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣]: بالتحقيق في همزة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع التعليل في لام ﴿الصَّلَاةَ﴾، ففيه تركيب بين رواية قالون عن نافع، وبين رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.

(١) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ١٩٩/٢.

وأيضاً من الأمثلة القراءة بإشمام الصاد صوت الزاي مع صلة ميم الجمع في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فالإشمام من رواية خلف عن حمزة، وصلة الميم أحد الطرق عن قالون وهي قراءة ابن كثير وأبي جعفر. وأما مثال تركيب طريق مع طريق آخر: فهو كالقراءة لخص من طريق الحماني عن أبي طاهر عن الأشناني عن عبيد بن الصباح بالإدغام في ﴿أَرْكَبْ مَعَنَا﴾ [هود: ٤٢]، مع قصر المنفصل حركتين وتوسط المتصل أربع حركات وهو من طريق الحماني عن الدقاق عن الفيل عن عمرو بن الصباح فهو لا يقرأ بالإدغام بل بالإظهار من هذا الطريق.

ومثاله أيضاً كالقراءة لورش بإشباع المد في مد البدل في ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾، وإبدال الهمز المفرد في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، فالإشباع في مد البدل من طريق الأزرق عنه، وإبدال الهمز من طريق الأصبهاني.

المطلب الثالث: حكم التركيب بين الأوجه والروايات والطرق

حكم التركيب يدور عند علماء هذا الفن بين الحرمة أو الكراهة أو العيب، سواء كان في الصلاة أو في غيره، وقد اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: المنع من التركيب مطلقاً: سواء أكان ذلك في مقام الرواية أم في مقام التلاوة، وهو رأي حكاه ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) عن الإمام السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، وابن الصلاح (ت:

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

٦٤٣هـ)، والإمام النووي (ت: ٦٧٦هـ)، وأبي إسحاق الجعبري (ت: ٧٣٢هـ)، وهو أيضاً رأي الإمام النووي، والأزميري، (ت: ١١٥٥هـ).

فقد قال الإمام علم الدين السخاوي - رحمه الله - في كتابه جمال القراء: "وخلط بعض القراءات ببعض عندنا خطأ."^(١)

وأما الإمام ابن الجزري فقال، "إذا تقرر ذلك فليعلم أنه من يريد تحقيق علم القراءات وإحكام تلاوة الحروف فلا بد من حفظه كتاباً كاملاً يستحضر به اختلاف القراءة وينبغي أن يعرف أولاً اصطلاح الكتاب الذي يحفظه ومعرفة طريقه، وكذلك إن قصد التلاوة بكتاب غيره، ولا بد من أفراد التي يقصد معرفتها قراءة على ما تقدم فإذا أحكم القراءات أفراداً وصار له بالتلفظ بالأوجه ملكة لا يحتاج معها على تكلف وأراد أن يحكمها جميعاً فليرض نفسه ولسانه فيما يريد أن يجمعه ولينظر ما في ذلك من الخلاف أصولاً وفرشاً فما أمكن فيه التداخل اكتفى منه بوجه وما لم يمكن فيه نظر فإن أمكن عطفه على ما قبله بكلمة، أو بكلمتين، أو بأكثر من غير تخطيط، ولا تركيب اعتمده وإن لم يحسن عطفه رجع إلى موضع ابتداء حتى يستوعب الأوجه كلها من غير إهمال، ولا تركيب، ولا إعادة ما دخل فإن الأول ممنوع والثاني مكروه والثالث معيب."^(٢)

^(١) جمال القراء وكمال الإقراء، ص (٦٤٢)، لعلي بن محمد بن عبد الصمد المهداني المصري الشافعي، تحقيق: د. مروان العطيّة -

د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

^(٢) النشر: ١٩٩ / ٢.

د. صفية بنت عبد الله القرني

ومنه قول الشيخ الضباع - رحمه الله - يكتب رسالته المعروفة بـ " صريح النص في الكلمات المختلف فيها عن حفص "؛ حيث قال في بداية هذه الرسالة: "عَنِّي أَن أكتب ملخصًا يُبينُ ما صحَّحَ عن حفص في الكلمات المختلف فيها عنه من طريق طيبة النشر؛ لأن روايته هي المعتادة بين الناس في هذا العصر، وقد كثرَ منهم التلفيق والالتباس؛ لجهلهم بما أخذ تلك الطرق ومذاهب ذويها، وعدم اعتمادهم عند الأخذ على متين الأساس".^(١)

وأما الإمام القسطلاني فقد قال في: "لطائف الإشارات لفنون القراءات" في الجزء الأول: "ومن لم يميز بين الطرق والروايات لا منهاج له إلى السلامة من التركيب في القراءات".^(٢)
ونقل عنه الشيخ المرصفي قوله: "يجب على القارئ الاحتراز من التركيب في الطرق"^(٣).

^(١) صريح النص في الكلمات المختلف فيها عن حفص، ص (٢)، لعلي بن محمد الضباع، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر.

^(٢) لطائف الإشارات لفنون القراءات، ٢ / ٦٦١، لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني، طبعة مركز الدراسات القرآنية، بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

^(٣) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، ١ / ٢٩٩، لعبد الفتاح المرصفي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط ٢، نقلا عن كتاب لطائف الإشارات للقسطلاني.

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

وقال الإمام النووي - رحمه الله - في كتابه التبيان في آداب حملة القرآن: "وإذا ابتدأ القارئ بقراءة شخص من السبعة، فينبغي ألا يزال عن تلك القراءة ما دام للكلام ارتباط، فإذا انقضى - ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة آخر من السبعة، والأولى دوامه على تلك القراءة في ذلك المجلس."^(١)

وقد قطع الإمام مصطفى بن عبد الرحمن بن محمد الإزميري - رحمه الله - بأن حكم التركيب: التحريم، وجعل الاحتراز منه باعثة على تأليف كتابه: "عمدة العرفان في تحرير أوجه القرآن"، فقال في سبب تأليفه وجمع ما فيه من الطرق: "احترازاً عن التركيب؛ لأنه حرام في القرآن على سبيل الرواية، أو مكروه كراهة تحريم كما حققه أهل الدراية."^(٢)

الرأي الثاني: جواز التركيب على الإطلاق، وإليه ذهب أكثر الأئمة، ومنهم بعض المالكية مثل الإمام الصاوي المالكي حين قال: "الحق أن القراءة الملفقة من القراءات السبع الجارية على السنة الناس جائزة لا حرمة فيها ولا كراهة، والصلاة لا كراهة فيها"^(٣).

^(١) التبيان في آداب حملة القرآن، ص (٩٨)، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، ط ٣، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

^(٢) عمدة العرفان في تحرير أوجه القرآن، ص (٢)، لمصطفى عبد الرحمن الإزميري، بتعليقات: محمد محمد جابر، وعبد العزيز الزيات، مكتبة مطبعة الجندي.

^(٣) بلغة السالك لأقرب المسالك، لأحمد الصاوي، ١ / ٢٨٨، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، وجمع القراءات القرآنية، ص ٣٢.

د. صفية بنت عبد الله القرني

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رجل يصلى يقوم، وهو يقرأ بقراءة الشيخ أبي عمرو، فهل إذا قرأ لورش، أو لنافع باختلاف الروايات مع حملة قراءته لأبي عمرو يآثم؟ أو تنقص صلاته؟ أو ترد؟

فأجاب: يجوز أن يقرأ بعض القرآن بحرف أبي عمرو وبعضه بحرف نافع، وسواء كان ذلك في ركعة أو ركعتين، وسواء كان خارج الصلاة أو داخلها، والله أعلم^(١).
الرأي الثالث: التفصيل في مقام الرواية ومقام التلاوة، وقد انقسموا إلى قسمين:
القسم الأول: أجازوا الخلط بين القراءات والروايات للعالم بها، وأما الجاهل فلا يجوز له ذلك.
القسم الثاني: أجازوا التركيب والخلط في مقام القراءة والتلاوة، وعدم جوازه عندهم في مقام النقل والرواية.

إلا أن أصحاب هذا التفصيل اشترطوا في التركيب في مقام التلاوة أن لا تكون القراءات مترتبة بعضها على بعض؛ لأنه حينئذ يكون حراماً، وذلك كما جاء عن الإمام السخاوي وذلك فيما نقله عنه ابن الجزري -رحمة الله- حيث قال: "وخلط هذه القراءات بعضها ببعض خطأ"^(٢)، وقد اعتبر البعض أن كلام الإمام السخاوي لا يحتمل التحريم فقط ولكنه يحتمل الكراهة أيضاً.

^(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، ٢٢/٤٤٥، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٥هـ- مكتبة المعارف - الرباط.

^(٢) النشر: ١٨/١.

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

والذي نراه - والله أعلم - أن لفظ الخطأ يحتمل الكراهة أكثر منه للتحريم؛ لأن الخطأ هو فعل ضد الصواب، يصدر عن الإنسان المكلف، ولا يكون له فيه قصد، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾^[١] للأحزاب، ويأتي في سياق الحكم ذاته قول أبي إسحاق الجعبري (ت: ٧٣٢ هـ)، والإمام الطيبي (ت: ٩٨١ هـ)، في أن حكم التركيب لديهم عامة هو الكراهة إلا تتعلق، أو في أثناء الرواية فيحرم^(١).

ومثال ذلك من يقرأ قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ ۖ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾

بالرفع في ﴿آدَمَ﴾ و﴿كَلِمَاتٍ﴾ معاً، أو بالنصب فيهما معاً، وعلى هذا مشى الإمام ابن الجزري في نشره، إلا أنه كان يعييه على أئمة القراءة من وجه تساوي العالم بالعامي، لا من وجه الكراهة والتحريم^(٢).

وهذا التفصيل الذي ذهب إليه الإمام ابن الجزري هو الأقرب للصواب؛ لأن القول بجواز التركيب مطلقاً، يؤدي إلى تسوية الخلط بين القراءات المؤدي لتغيير المعنى وتحريف كتاب الله، بغيره من ضروب الخلط التي لا تتعدى الجمع بين ظواهر صوتية متنافرة في عرف القراء^(٣).

^(١) النشر: ١٨/١.

^(٢) انظر: النشر: ١٨/١.

^(٣) نقله صاحب جمع القراءات القرآنية، نقلاً عن كتاب العجالة البديعة الغرر للمتولي، انظر: ص ٣٢.

د. صفية بنت عبد الله القرني

وقد كان للدكتور عبد الحلیم قلبه رأي آخر حيث قال: "والحق للذي ينبغي المصير إليه - والله أعلم- هو الحكم بالجواز على الفعل المجرد على كل اعتبار؛ لأن الكل قرآن صحيح نزل من عند الله، والقراءات بعض الأحرف، والأحرف نزلت للتوسعة قطعاً.

ولأن القراءات إنما هي اختيار القراء ممن تلقوه عن سبقتهم، وعملهم لا يخرج عن كونه تركيباً لقراءة اختاروها، مما رووا بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ، ولأنه لا دليل على المنع من التركيب إلا الخوف من أن يؤدي إلى قراءة ما لم ينزل، وإنه باستثناء حالة التعلق والارتباط الذي يؤدي التركيب فيه إلى الفساد لفظاً أو معنى نكون قد أمنا هذا المحذور، ولأنه لا دليل على وجوب التزام قارئ دون آخر، فإنه بذلك لا يبقى - والله أعلم - أي مستند للقول بالحرمة والكرهية.

فقد يقال بالمنع سداً لذريعة ما، في وقت ما، وقد يقال بالكرهية إذا ترتب عليه محذور لا يصل إلى درجة المحذور، كما قد يقال - تعقيباً على ابن الجزري الذي قال بأنه معيب في حق العلماء من جهة استوائهم بالعوام - : أنه يستحب للعلماء التركيب أحياناً أمام العوام لبيان الجواز في أمر عمّ اعتقاد عدم جوازه بين الخاصة، كما قد يقال غير ذلك والأمر يرجع إلى اجتهاد المجتهدين، ونظر أهل النظر - والله أعلم بالصواب.

بقي أمر مهم جداً وهو أن من أراد أن يقرأ بوجه من أوجه الخلاف ينبغي أن يكون جازماً به، متأكداً من صحة وجواز القراءة به، وأنه من الأوجه المنقولة والثابتة، وإلا وقع في المحذور واقتحم دائرة المحذور وقرأ ما لم ينزل، وتقول على الله بغير علم. ولعل الخوف من هذا المحذور هو

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

الذي دفع بعضهم إلى المنع منه أو إلى كراهته ونحو ذلك وهو — نفسه — الذي قوى في نفسي أن الأفضل اعتياد الإنسان على التزام رواية واحدة في غير التعليم والإقراء ليسلم أولاً من هذا المحذور، وليريح نفسه ثانياً من الالتفات إلى الألفاظ والمباني، ويصرف همه ويعلق همته بالتدبر الاعتبار، ومن ثم الائتثار بأوامر الواحد القهار"^(١).

المبحث الثالث: تركيب الحروف

ومعنى ذلك هو: النطق بالحروف متجاوزة داخل بنية الكلمة"^(٢).

قال ابن الجزري: "فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موفِّ حقه فليعمل بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس وقوي وضعيف ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب، حصّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب."^(٣)

^(١) انظر: القراءات القرآنية، ص ٢٢١-٢٣١.

^(٢) انظر: معجم مصطلحات علم القراءات وما يتعلق به، ص: ١٣٢-١٣٣، عبد العلي المسؤول، ط ١، دار السلام، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

^(٣) انظر: النشر، ص ٢١٤-٢١٥.

د. صفية بنت عبد الله القرني

ومما سبق يتقرر على القارئ والتالي لكتاب الله أن يحسن قراءة كلامه الله بضبط كلماته وإخراج حروفه من مخرجها الصحيح، مع إعطاء كل حرف حقه ومستحقه من الصفات والمخارج. ومما يعين القارئ على تقوية المخارج في تلاوة القرآن وتبينها بالأداء الصحيح: التدريب على نطق الحروف بطريقة القاعدة النورانية وغيرها؛ فيتعلم طريقة نطق حروف الهجاء مفردة، والحروف المركبة، والحروف المقطّعة، وكيفية النطق بالساكن، والمنون والمشدد، حتى يسلم من الخطأ في تلاوة كلام الله، ويحترز من تركيب الحروف بعضها ببعض.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، محمد عليه أفضل الصلوات.

وبعد:

فإنني أحمد الله على تمام فضله ومننه، أن وفقني لإتمام هذا البحث، وأن يسّر لي ما أردت بيانه، كما أسأله ﷻ أن يتقبله مني خالصاً لوجه الكريم، وأن يسامحني على التقصير، ويعفو عن الزلل، فإنني تحريت الصواب ما استطعت، فإن وفقت فبفضل منه ﷻ.

وفي ختام البحث، أسجل بعض النتائج والتوصيات التي استخلصتها من هذا البحث، كان من أهم النتائج وأبرزها:

مصطلح تركيب القراءات مدلوله وأنواعه وحكمه

١- أن مصطلح التركيب في القراءة يطلقه بعض العلماء على جمع القراءات، وبعضهم الآخر على الخلط في القراءات.

٢- حكم التركيب يدور عند علماء هذا الفن بين الحرمة أو الكراهة أو العيب، سواء كان في الصلاة أو في غيرها.

٣- ينبغي على قارئ كلام الله أن يحسن قراءة كلامه الله بضبط كلماته وإخراج حروفه من مخرجها الصحيح، وأن يجذر من تركيب الحروف، ولا يتأتى ذلك إلا بريضة اللسان وتدريبه. وختامًا: نوصي طلبة العلم بأن يتلقوا القراءة بالجمع على أهلها الحذاق المتقنين؛ ففي تلاوة القرآن طرق وأوجه وكيفيات لا تحكما إلا المشافهة.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم